الدرس التاسع والخمسون: الخشوع في الصلاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع موقف عظيم لصحابي جليل وهو عباد ابن بشر، أخرج الإمام أحمد في مسنده - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ☻ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَافِلاً وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْزِلاً فَقَالَ:"**مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا** - أي يحفظنا ويحرسنا - **لَيْلَتَنَا هَذِهِ** - فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ - عمار بن ياسر - مِنْ الأَنْصَارِ - وعباد ابن بشر - فَقَالاَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ الله قَالَ:"**فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ** - قَالَ: وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنْ الْوَادِي، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ: الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ قَالَ اكْفِنِي أَوَّلَهُ، فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ - عمار بن ياسر - فَنَامَ وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ - عباد بن بشر - يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةٌ - أي حراسة - الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ الله أَلاَ أَهْبَبْتَنِي - أي أيقظتني - قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا - أي أنتهي من قراءتها - فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَآذَنْتُكَ - أي أيقظتك - وَايْمُ الله لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم

بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا [1].

هذا هو حال الصحابة الكرام، ولقد أثنى الله ♣ عن هؤلاء الذين هم في صلاتهم خاشعون قال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2)} [المؤمنون:1، 2]، فالصلاة جسد والخشوع روحها، فإذا توفر الجسد والروح بقيت حياة الصلاة، أما إذا وجد الجسد وخرجت الروح فلا قيمة للجسد.

فبعض الناس لا تنتهي أشغاله، دائماً مشغول طوال اليوم، فإذا دخل في الصلاة بدأ يفكر في عمارته وسيارته ومشاكله، لماذا؟ لأنها فرصة ليس عنده وقت يفكر، فيأتيه الشيطان ليقذف في قلبه الوساوس والأفكار والخطرات حتى يخرج منها، بدرجة أنك لو أجريت اختبارًا في أي مسجد للمصلين بعد أي صلاة من صلاة الجهر وقلت لهم: ماذا قرأ الإمام في الصلاة؟ فإنه لا ينجح إلا القليل.

معاشر الإخوة، كان السلف رحمهم الله يولون اهتماماً كبيراً لهذه الصلاة وللخشوع فيها، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الوابل الصيب) : والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها، وهذا معاقب.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه ذهب مع الوساوس والأفكار، وهذا محاسب.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد، وهذا مكفّر عنه.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، وكان

همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، وهذا

(1) (حسن) أخرجه (حم) 14745 وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

مثاب.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ♣، وهذا في صلاته مشغول بربه ♣ قرير العين به، وهذا مقرب من ربه (66).

الإخوة الفضلاء، أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ؟ قَالَ: **"لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا أَوْ قَالَ: لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ** -[1].

وأول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع في الصلاة، فَعَنْ شَدَّادِ بن أَوْسٍ ☺، أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **"أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ** -[2].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ☺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **"خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى الله عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الله عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ** -[3].

والرجلان يكونان في الصف معا في الصلاة وهناك فرق في أجرهما، فَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ☺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **"إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ- صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا** -[4].

أخي الحبيب، من الأسباب التي تساعدك على الخشوع في الصلاة:

1 - أن تترك ما في يدك بمجرد سماعك للآذان وتتوجه للمسجد.

2 - أن تحافظ على السنن الرواتب.

---

(1) (صحيح) أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص.ج 986.

(2) (صحيح) أخرجه (طب) وصححه الألباني في ص.ج 2576.

(3) (صحيح) أخرجه (د هق) وصححه الألباني في ص.ج 3242.

(4) (حسن) أخرجه (حم د حب) وحسنه الألباني في ص.ج 1626.

3 - أن تحاول أن تصلي صلاة مودع وتتدبر ما تقوله في الصلاة، فإذا حاول الشيطان أن يأخذك بعيدا فاستغفرالله وتعوذ من الشيطان واتفل عن يسارك إن كنت تصلى بمفردك.

4 - أن تستحضر عظمة الله تعالى عند صلاتك، ولاتلفت يمينا ويسارا ولا تنظر إلى السماء بل اجعل بصرك في مصلاك وتدبر في الآيات التى تقرأها أو التى تسمعها، قال تعالى:{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف:204].

ولقد اختلف أهل العلم في حكم قراءة الفاتحة للمأموم على ثلاثة أقوال: قول للإمام الشافعي وهو: أن من ترك قراءة الفاتحة إماماً كان أو مأموماً فإن صلاته باطلة.

والقول الثاني للإمام أحمد ومالك وهو: أن الفاتحة تجب على المأموم في القراءة السرية، وتسقط عنه في القراءة الجهرية؛ لأن قراءة الإمام قراءة له، وهذا قول الإمام أحمد ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

القول الثالث: وهو من الأقوال التي لا دليل عليها، وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمة الله تعالى، قال: إن المأموم لا يقرأ؛ لا في السرية ولا الجهرية (66).

5 - وأدِّ الأركان باطمئنان وخشوع ولا تسابق الإمام في الركوع ولا في السجود في صلوات الجماعة.

6 - واختم صلاتك بتأنٍّ ثم صلِّ مابدا لك من السنن والأفضل أن تحافظ على السنن في المنزل فهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ☺ ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:"صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ -[1] (64).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(1) (صحيح) أخرجه (د ت) وصححه الألباني في مش 1300.

* * *